

الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية

Interdisciplinary studies : concept and Knowledge assets

د.محمد مكاي*

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، Mekaki.2012@gmail.com

تاريخ الارسال 2020/12/17 تاريخ القبول 2021/03/05 تاريخ النشر 2021/12/27

ملخص:

الدراسات البينية نشاط معرفي عرفه الفكر الغربي بعد عجز المنظور المنهجي التخصصي عن تقديم أجوبة مقنعة على كثير من التساؤلات العلمية، ومن منظور فلسفة العلم جاء الفكر البيني ليقدم نموذجاً معرفياً يقوم مقام النموذج العقلاني الاختزالي التبسيطي، هو نموذج التعدد والتعقيد، الرافض لحصر البحث العلمي في إطار المنهج، وفتح المجال أمام التعدد التخصصي بالإضافة إلى إمكانية الاستعانة بمعطيات إدراكية ومعرفية كانت في عرف النزوع العقلاني نوعاً من مهملات العلم، الشيء الذي يفترض به أن يحقق معرفة جديدة تركز على أبعاد التداخل والتشابك والتعقيد في الأشياء.

إن ازدهار هذا النزوع العلمي الجديد في الثقافة الغربية أتاح له أن يوظف في مختلف ميادين المعرفة، وصارت المؤسسات والمراكز الأكاديمية والبحثية تعتمد بشكل رسمي، غير أن الواقع في الثقافة العربية لا يزال بعيداً عن الاستفادة من معطياته وذلك إذا استثنينا بعض المراكز والجامعات العربية التي فتحت أبوابها لتوظيفه على مستوى التكوين والبحث، وهذه الورقات محاولة تعريفية بالبينية وأهم مرتكزاتها المعرفية.

الكلمات المفتاحية: الدراسات البينية، الفكر البيني، برادغم التعقيد، عبور التخصصات، ادغار موران.

Abstract:

Interdisciplinary studies are part of an epistemological endeavour that has been introduced into Western thought due to the failure of specialised studies to convincingly answer many scientific questions and inquiries. Examined from the perspective of the philosophy of science, interdisciplinary thinking has offered an epistemological paradigm that replaces the rational, reductionist, simplifying one; it is a paradigm of multiplicity and complexity which opposes the limitation of scientific research within the framework of methodology, and paves the way instead for speciality pluralism as well as the possibility of benefitting from cognitive data that were considered as trivia in the rational school. Accordingly, this paradigm is arguably able to forge a new type of knowledge that emphasizes the dimensions of interaction, inter-relatedness's and complexity of things.

Keywords: paradigm of complexity; Interdisciplinary, interdisciplinary thinking; Edgar morin

1. مقدمة:

ما البينية؟ وهل هي معطى جديد في مسار الفكر البشري؟ أم أنها مجرد مظهر طغى على مرحلة معينة وشكل السمة الأبرز خلالها، بينما هو دائن في مجمل وجوده إلى منطق التفكير البشري منذ نشأته مما يجعله حقيقة ولدت بولود الفكر الإنساني؟

وإذا كانت البينية نوعا من سبل الإدراك المعرفي عرف طريقه إلى الظهور والازدهار بعد إفلاس المنظور التخصصي الذي جاء على أنقاض الموسوعية القديمة، أقهل ليست البينية إلا إعادة اعتبار للموسوعية والتكامل، أم أنها نزوع يقوم على المخالفة لتلك المنظورات باعتبارها براديجمات معرفية قديمة جاء براديجم التعدد لتجاوزها لا لتكريسها؟

أسئلة كهذه التي دجنا بها هذا المقال... تجعل من أمر هذا الوافد الذي صار يحتفى به في صمت مثار أسئلة لا تقل عن تلكم الأسئلة التي أثارها توافد كل جديد إلى الثقافة العربية، وجملة الإشكالات المترتبة عن المفاهيم التي أطرت البينية كمنزوع معرفي أنها لا تزال تخطو باحتشام شديد نحو حجز مكانة ضمن المنهجيات الوافدة إلينا والتي ستوظف كما وظف غيرها من قبل، ليس إيماننا بمشروعيتها وإقرارا بكفائتها الاجرائية، وإنما لأنها لحد الان تبدو في مظهر الجديد الذي لا يملك قيمة في منظومتنا الثقافية - عادة - إلا لأنه جديد.

ورغم أن هذا الحكم الذي ارتأيناه قد يصرف ذهن القارئ إلى كون هذا البحث يجيء كنقد للمنظور البيني ويحمل تبعا لذلك موقفا مناهضا له بحكم غريبة منشئه، إلا أن المسعى الذي تتغياه هذه الورقات لا علاقة بنقد الفكر البيني ولا بتسفيه مناصريه، بل القصد الأساس منه أنه سينضاف كجهد إلى مجموع الجهود التي صارت تحاول تقديم هذا النزوع المعرفي إلى القاري العربي دون أن يكون ضمن القصد احتفاء بهذا الوافد قبل التحقق من مدى نجاعته وقدرته على الارتصاف ضمن منظومة الفكر العربي.

2. في المفهوم اللغوي للبينية: interdisciplinary

مصطلح البينية هو المقابل العربي للكلمة الانجليزية interdisciplinary، وهي كلمة مركبة من شقين أو لنقل مقطعين: السابقة inter، والكلمة discipline، وإذا كانت الترجمة الحرفية للمصطلح تنصرف إلى جعل كلمة البين مقابلا للمقطع الأول ومقابلة المقطع الثاني بكلمة التخصصات أو الميادين المعرفية على الأشهر، فإن هذه التوليفة الاصطلاحية صارت تحمل دلالة خاصة بها يحددها معجم كامبردج في أنها الجمع أو الربط بين اثنين أو أكثر من مجالات المعرفة¹، وهذا - بطبيعة الحال - سيكون أثناء الممارسة البحثية التي تقود إلى الإجابة عن تساؤل معرفي ما.

وفي اللغة الفرنسية، لا يقدم معجم لاروس للبينية كمجال معرفي تعريفا خاصا بها، بل يقتصر على إيراد اشتقاق الصفة منها وتقديمها على أنها تطلق على من يؤلف بين مجموعة من التخصصات أو العلوم²، بينما يزيد القاموس الذي يتيحه المركز الوطني الفرنسي للموارد النصية والمعجمية على تعريف لاروس تعريفا لمصطلح

interdisciplinarité يجعل منه عبارة عن " مقارنة لمشكلات علمية انطلاقات من وجهات نظر لباحثين من تخصصات مختلفة³، وهذا المفهوم بقدر ما يعطي توضيحاً لمعنى البينية في الثقافة الغربية فإنه أيضاً يؤسس لإشكال على صعيد فهم هذا المعنى أيضاً، فهل المقصود بها امتلاك باحث واحد لأدوات معرفية مختلفة وطرائق علمية متعددة في مقارنة بحث واحد؟ أم أنها تستلزم - وجوباً - دراسة الموضوع الواحد من قبل مجموعة من الدارسين مختلفي التخصصات؟ وللإجابة على هذا التساؤل وجب علينا بداية تفحص ما جادت به أقلام المؤسسين للفكر البيني في الثقافة الغربية في اجتهاداتهم لتعريفها ومجال اشتغالها قبل الانتقال إلى عرض سريع لمظاهر التفاعل العربي مع هذا الفكر الوافد.

3. مرتكزات اصطلاحية:

قبل النزوع نحو استظهار بعض التعاريف الغربية الاصطلاحية للبينية وجب التنويه بأن كلمة discipline الواقعة كشق ثان في المصطلح الغربي كانت هي الأخرى محل نظر بين المتخصصين، ولأن فهم المركب لا يكون إلا بفهم الأجزاء المشكلة له فإن المهتمين بشأن الدراسات البينية وتداخل المعارف وتكاملها أفردوا لهذه المفردة مفهوماً عاماً يلخصه ادغار موران Edgar Morin بأنه " صنف تنظيمي يقوم في صميم المعرفة العلمية وتمارس في داخلها تقسيم العمل وتخصيصه ورغم وقوعه في كل أو مجموع علمي أكبر، إلا أنه يميل بشكل طبيعي نحو الاستقلالية، من خلال ترسيم حدوده واللغة التي يستخدمها والتقنيات التي يطورها أو يستخدمها"⁴، ويجعله ميتو نيساني⁵ M. Nissani قائماً على مجموعة من الضوابط أو المكونات هي: المناهج والمفاهيم والقيم والأهداف والمهارات والمعطيات⁶ فكل مجال توفر على هذه المكونات صح أن يسمى حقلاً أو ميداناً للمعرفة أو تخصصاً معرفياً ما، وبهذا يصبح المراد بالبينية نوعاً من التناول المعرفي لظاهرة ما، تثير إشكالات لا يمكن لتخصص واحد معالجتها، وعدم الإمكانية هذه ماثلة عبر كل المواضيع البحثية التي عولجت في إطار تخصصي أحادي، وهذا ما يسوغ الحكم بأن الاستنجد بالمنظور البيني جاء لحاجة ملحة أفرزها عجز هذا التناول الأحادي عن بلوغ ما يطمح إليه العلماء والباحثون، فاتحاً المجال بذلك للدعوة إلى تضافر ميادين المعرفة كي تصبح محور العمليات البحثية في هذا العصر.

عرف مصطلح البينية مجموعة موسعة من التحديدات المفاهيمية قدمها المهتمون به، ورغم ما يظهر من تباين واختلاف بينها، إلا أنها لا تكاد تتصل من إطار عام واحد يجمعها ويؤسس لها فضاءها المعرفي، ولا شك أن محاولة الإحاطة بهذه التحديدات المعرفية ستفرض الانطلاق من البيئة الغربية التي عرفت الدعوة إلى هذا النزوع في العقود الأخيرة من القرن الماضي.

ففي كتاب يعد من أشهر وأقدم ما قدم في التعريف بهذا المنزع العلمي، يقرر "ميتو نيساني" بأن البينية "عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصصات مختلفة، وهو تبادل قد يفضي إلى أن تتكامل التخصصات المتداخلة فتكون تخصصاً جديداً، والبينية هي تضاف يحدث بين مكونين أو أكثر يكون كل مكون منهما منتما

إلى علم من العلوم أو تخصص من التخصصات" ⁷ ، فهي بهذا نوع من التداعي والتمازج الذي يحصل على مستوى العملية البحثية خدمة للموضوع المعالج، وإن لم يوضح نيساني الكيفية التي يتم بها تضافير العلوم في الدراسة الواحدة، شأنه في ذلك شأن الباحثين ويليام نويل W.Newell، وجولي كلاين J.Klein، في تعريفهما للبينية بأنها " دراسة مرجعها حقان معرفيان أو أكثر، وهي دراسة تجيب عن أسئلة وعن مشاكل يعسر على نظام واحد حلها" ⁸.

ينبغي على التعريفين السابقين أن تشكل مجال الدراسة البينية من حقلين أو أكثر من حقول المعرفة غير مشروط بكون هذا التعدد المعرفي متعلقا بباحث واحد أو مجموعة من الباحثين الذين يمثل كل منهم تخصصا مختلفا، فبافتراض عملية بحثية يقوم بها فريق من الباحثين مختلفي الانتماءات المعرفية يتأسس مشروع علمي يصح القول ببينيته، كما أن امتلاك الباحث الواحد لثقافة معرفية متعددة تتيح له تناول الموضوع الواحد بتخصصات مختلفات هو سلوك يصح انتماءه أيضا للدراسات البينية.

إن تعدد واختلاف التخصصات والمجالات المعرفية وتضافر اثنين منها أو أكثر في عملية يراد منها إجابة عن سؤال ما أو إيجاد حلول علمية لمشكلات طارئة هي مكونات أساسية ومحورية في المفهوم العام الذي يعطى للبينية وهو المفهوم الذي تبنته منظمة اليونسكو وعبرت عنه بأنه " نوع من التعاون بين التخصصات المختلفة أمام المشكلات ، التي منها التعقيد ، والتي تحل فقط بالتضافر والتوليف الحضيف بين وجهات نظر مختلفة" ⁹ ، وهذا مفهوم - كما يظهر - واسع متسع إلى حد يشعر معه الباحث بنوع من البساطة في جوهر الفكر البيني ، رغم أن واقع الممارسات البحثية سيكشف أن الفكر البيني بشكل عام فكر معقد ومركب يأبى الانصياع للقواعد المنهجية بل إنه لم يظهر إلا رفضا لسلطة التعقيد والمنهج ، وكفرانا بجوداها المعرفية.

وإذا كان الحال على ما ذكرنا من التعقيد، فعلينا - بداية - تبصر ما تتكشف عنه البينية من مظاهر، أو لنقل إن علينا بحث المظاهر التي تنزل فيها البينية في العلوم والمعارف والصور التي ترسمها لنفسها عند المعاينة والبحث، وهذا مطلب يبدو ضروريا بالنظر إلى المفاهيم المصاحبة للبينية كمقابل عربي للمصطلح الذي انطلقنا منه منذ بداية هذه الورقات أي interdisciplinary/ interdisciplinarité.

يجد الباحث أن هذه المظاهر والصور تأتي في استعمالات الباحثين الغربيين تحت مصطلحات أخرى تشكل مجموعة من المجاورات الاصطلاحية التي لا تتمايز عن المصطلح الأساسي إلا على مستوى تغير السوابق prefix المشكلة لبينته، وهي مصطلحات يجتهد الغربيون في وضع حدود تفاصيل بينها مفاهيميا، لتقريب عملية فهمها إلى القارئ، رغم أن هذه المفاصلة قد تبدو عصية نوعا ما على الفهم أو التمثل بالنظر إلى ما سنجده من تشابك مفاهيمي بين هذه المصطلحات التي نعتناها بالمجاورة، وهي التي نتعرض لأشهرها فيما يلي:

4. الأسرة المفاهيمية للبنية: ¹⁰

تشتغل المصطلحات التي سنأتي على إيرادها كمجموع الدلالات التي تتموضع تحت الدلالة الكبرى لمصطلح البنيات، لذلك سبق نعتها بأنها مجموع المظاهر والصور التي تنزل البنية في هيأتها المفاهيمية في حقول المعرفة المختلفة، معطية دلالة تختلف نوعاً ما عن غيرها من الدلالات لكنها لا تخرج عن إطار التشارك المعرفي بين تخصصات مختلفة متعددة في خدمة موضوع للبحث يعجز التناول الأحادي عن الوصول به إلى نتيجة مقنعة، ولذلك وجدنا الدكتور صالح بن رمضان يعطيها تسمية الدلالات التي تتمحض عن الدلالة المحورية كما أشرنا سابقاً ¹¹، وهو في هذا يعتمد - كما يثبت ذلك في التهميش - على ماورد في إصدار بعنوان كراسات العلوم الإنسانية في أوروبا ¹²، يجعل هذه المصطلحات المجاورة بمثابة دلالات جزئية منضوية تحت مظلة الدلالة العامة، لكن هذا التمييز بين البنية ومجاوراتها الاصطلاحية سرعان ما ينتهك عندما نجد باحثين آخرين يستعملونها " على جهة الترادف والدلالة المتماثلة سواء في الكتابات الأجنبية أو العربية - التي سترجى الحديث عنها بعد انتهائنا من هذا المبحث - كما يذكر الدكتور محمد همام ¹³، وهذا ما سيفضي إلى نوع من الأزمة المتولدة عن التعدد والتداخل الاصطلاحيين، بين الأسرة المفاهيمية للبنية، وحتى تتوضح صورة هذا التداخل، لا بأس بالشروع في استعراض هذه المجاورات الاصطلاحية مع بيان ما يعطى لها من تعاريف.

1.4. دلالة التعدد: Pluridisciplinarité

يحيل هذا المصطلح إلى دلالة اشتراك أكثر من تخصص في معالجة الموضوع نفسه ¹⁴، دون أن يكون القصد من وراء هذا التشارك إيجاد طريقة لدمج هذه المعارف في إطار متداخل، وذلك كأن يشترك مجموعة من الباحثين في دراسة موضوع واحد، كل من منظوره الخاص، وتشبه هذه الدلالة ما يعرف في الفكر البنيوي بقاعدة المناسبة ¹⁵، التي تعني أن كل باحث يرى في الموضوع المدروس ما يناسبه، دون أن يكون ثمة لقاء أو تقاطع معرفي بين هؤلاء الباحثين، ويمكن أن نمثل لذلك بتشارك علم النفس والطب في موضوع واحد هو الإنسان، لكن منظور الطبيب مختلف ومنقطع أثناء عمله عن منظور عالم النفس.

وهذه الدلالة التي يحملها المصطلح عبر عنها باتريك شارودو P.Charaudeau بقوله: هو مجال تتكامل فيه الدراسات المتخصصة في حقول معرفية متميزة، وتتراكم دون أن تتفاعل وتتقاطع بالضرورة، فكل تخصص يضيف إلى الموضوع المطروح معرفة ما أو وجهة نظر أو مقارنة ما، ويحافظ في الآن نفسه على استقلاله إزاء سائر التخصصات المشاركة له في خدمة ذلك الموضوع أو ذلك الحقل المعرفي ¹⁶، وهذا التعريف يتساقط تماماً مع تعريف يورده الدكتور محمد همام يقول فيه " هو التقاء حول موضوع واحد بين مجموعة من الباحثين، من تخصصات مختلفة، ولكن مع احتفاظ كل منهم بمفاهيمه ومنهجه ¹⁷، وهذا يجعل التعدد محورياً في فهم هذا المصطلح دون أن ينبي على هذا التعدد أي تقاطع أو تكامل بين التخصصات المشكلة له.

2.4. دلالة العبور: Transdisciplinarité

يطلق هذا المصطلح "كوصف للمعرفة المتنقلة بين تخصصات متنوعة، أو العابرة للحدود بين التخصصات"¹⁸، وصفة العبور كما نلاحظ متعلقة هنا بقدرة الموضوع أو الفكرة أو الظاهرة على اختراق المعارف والتخصصات، أي أنه متعلق بالموضوع لا بالتخصص أو الحقل المعرفي ففكرة الزمن مثلا كموضوع درس لا تستسلم لتفسيرات مجال تخصصي واحد بل نجد لها منطلقا من الفلسفة وحاضرة في الفيزياء والأدب والفنون وغير ذلك من مجالات المعرفة، فامتلاكها القدرة على العبور والاختراق خاصية موجودة فيها كموضوع، ولا تستدعيها الرغبة في المعالجة المتعددة.

3.4. دلالة التشابك والتداخل: Multidisciplinarité

تنصرف دلالة هذا المصطلح إلى مفهوم تحليلي "يقوم بعملية ضبط معارف كثيرة ومتنوعة، ثم الربط بينها واستعمالها بشكل متواز، من غير أن تكون علاقات سابقا بينها"¹⁹، ويرى الدكتور محمد همام أن هذا المفهوم يبدو كعملية تجميع تخصصات متنوعة واستعمالها في وقت واحد، وهو ما يبتعد به عن دلالة التداخل الذي يحصل بين العلوم والمعارف²⁰، ويشير إلى أنه ورغم ما يبدو من اختلاف بين المصطلحين إلا أن كثيرا من المهتمين بالدراسات البينية يستعمل مصطلح Multidisciplinarité جنبا إلى جنب مع المصطلح الأساسي الذي انطلقنا منه أي interdisciplinarité، ولذلك يجتهد في محاولة التفريق بينهما وفق ما يلي:²¹

إن تعريف المصطلحين قد يختلف إذا ما أردنا التدقيق في العمليات المختلفة للتعاون بين التخصصات، فعلى سبيل المثال، إحصاء مجموعة من المتخصصين من تخصصات مختلفة ليقدم كل واحد منهم مساهمته في مشروع بسيط لا يكتمل بمهنة واحدة، ليس هو بالضرورة العملية نفسها التي يقوم بها جماعة من الباحثين المختصين من تخصصات مختلفات، فالعملية الأولى هي ما يسميه بتشابك التخصصات Multidisciplinarité، أما الثانية فهي ما يعنيه بتداخل المعارف interdisciplinarité أي البينية.

إن الرأي الذي يقدمه الدكتور همام حول التفريق بين المصطلحين يخرجنا من مشكلة ليضعنا أمام أخرى، فبافتراض صحة الفرض الذي يقدمه، سيجد القارئ أن ما عناه الباحث بالتشابك الذي يترجم به مصطلح Multidisciplinarité، هو نفسه تقريبا المعنى الذي كنا سقناه في حديثنا عن دلالة التعدد Pluridisciplinarité حيث يجعلها "باتريك شارودو" بنفس الدلالة التي يعطيها "محمد همام" لمصطلح التشابك أي Multidisciplinarité، وهو ما يجعلنا نستسلم للقول بأن دلالة التشابك يمكن اعتبارها رديفة لدلالة التعدد لخلوها معا من دلالة البينية التي يختص بها مصطلح interdisciplinarité، والغريب أن الدكتور "محمد همام" يقدم أيضا في موقع تحديد لمصطلح Pluridisciplinarité، هو نفسه تقريبا مراده من المصطلح السابق حيث يجعل التعدد "التقاء بين مجموعة من الباحثين من تخصصات مختلفة حول موضوع واحد

مع احتفاظ كل منهم بمفاهيمه ومنهجه!!²²، وهي نفس الدلالة التي يعطيها "باتريك شارودو - كما مر معنا - على المصطلح ذاته.

5. البنية وإشكالية ترجمة المصطلح:

رغم ما يظهر من حداثة مفاهيم الدراسات البينية في البيئة الثقافية العربية، إلا أن مجال الاهتمام بها ترجمة وتأليفا صار يعرف تكاثرا ملفتا، وهذا التكاثر لا بد وأن يمر هو الآخر بمشكلة الترجمة كما هي العادة دوما عند استقبال مفاهيم جديدة، والأمر عائد - في بعض ما هو عائد إليه - إلى عدم تشكل تراكم كاف ينقل الاهتمام من تقديم المفاهيم إلى إعادة قراءتها وتبويبها وتنظيمها بما يسهل حاجة الباحثين إليها، فاستقبال مستجدات الفكر عادة ما يمر بهذه المراحل التمثيلية التي تعطي الأولوية - في البداية - لتحقيق تراكم معرفي يتيح قدرا كافيا من التمثل لهذه المستجدات، فإذا تحقق ذلك صارت المادة العلمية المتشكلة صالحة للمساءلة وإعادة النظر في مسألية الاصطلاح، عبر محاولات توحيد الجهود الاصطلاحية التي تكون غالبا - في بدايات الاستقبال - جهودا فردية متفرقة.

إن اختيارنا لمصطلح البينية يأتي متابعة لبعض الاختيارات الترجمة للدارسين العرب دون أن يعني هذا اقتصار هؤلاء الدارسين على البينية كمصطلح مقابل تم الاجماع عليه، بل بالعكس، يجد الدارس أن هناك ترجمات كان لها الاستعمال الأوسع دون أن يكون لها علاقة بترجمة السابقة *inter* بالبين، على رأس تلك الاستعمالات الاصطلاحية يأتي مصطلح التكامل المعرفي الذي وجدناه يتواتر كثيرا بين المشتغلين بفلسفة العلوم والمعارف، لكن هذا التواتر لم يكن دوما استعمالا ترجحيا للمصطلح الغربي محل الدراسة، بل كان أحيانا استعمالا يراد به تضافر العلوم سواء أكان ذلك من منظور الموسوعية العلمية القديمة أم المنظور العلمي الجديد، وربما دل عند بعض الدارسين على مسألة التكامل بين مصادر المعرفة وأدواتها مثلما هو الحال عند الباحثين المتخصصين في المعرفة الإسلامية، الداعين إلى وجوب النظر بمبدأ التكامل بين مصادر الوحي أي الكتاب والسنة، أو بين العلم والدين عندما يتعلق الأمر بفلسفة التوفيق بين المتعارضات أخذا بمبدأ وحدانية الحقيقة المعرفية²³.

أما الدراسات التي صرحت باستعمالها له كترجمة لمصطلح *interdisciplinarité*، فلعلنا نستعين هنا بإشارة الدكتور محمد همام إلى ترجمة محمد عزيز الحبابي له بتكامل أصناف المعرفة، بالإضافة إلى الجمعية المغربية لتكامل العلوم التي اختارت ترجمته بالتكامل كما يظهر من اسمها²⁴، فليس من السهل إذن والحال هذه أن نحصر المؤلفات التي ورد فيها استعمال التكامل المعرفي كمقابل عربي لمصطلح *interdisciplinarité*، وإذا حاولنا ذلك فليس لنا إلا تسخير جهد بحثي خاص لحصر تداعيات هذا التناول الاصطلاحي وبحث صور استعماله حتى تتمكن من فصل استعماله كترجمة للمصطلح الغربي عن استعماله كمصطلح يراد به نوع من التناول المعرفي للمواضيع، كان وثيق الصلة بمقومات المعرفة الإسلامية القديمة، قبل أن يكون له في العصر الحديث ما يقابله من تصورات فكرية نظرية وجدت لها أعلاما ومناصرين ارتكازا على حاجات معرفية وحضارية راهنة.

وإذا صرفنا النظر عن مصطلح التكامل المعرفي - للأسباب التي أتينا على ذكرها - وجدنا أن من الترجمات العربية التي تباعدت عن مشتقات البين الترجمة التي تعتمد مصطلح "تداخل المعارف" وهو مصطلح يوظفه مجموعة من الباحثين أمثال الدكتور "محمد همام" في كتابه تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي²⁵، ويرر اختياره له بكونه أكثر دلالة على جوهر الدراسات البينية أي فكرة التداخل، وهذا في سياق مقارنته له بالمصطلح السابق أي تكامل المعارف وهو هنا لا يتعرض إطلاقاً لمصطلح البينية، معززا رأيه بالإشارة إلى ترجمة الباحث أسعد زروق له بالتداخل النصوسي في معرض تعريبه لكتاب "ادوارد سعيد" انتقال النظريات²⁶. يبدو مصطلح البينية أكثر المصطلحات استعمالاً ودلالة على فكرة الدراسات البينية أي interdisciplinarité، كما أنه المصطلح الأكثر استعمالاً في السنوات الأخيرة من قبل الباحثين المهتمين به والهيآت العلمية التي نظرت إلى الدراسات البينية كفكرة مشروع يراود له التبنّي والتوظيف، وهذا ما تجسّد في جملة من الندوات والمؤتمرات والتأليفات الجماعية التي قدمت البينية للقارئ العربي، ويمكن الإشارة إلى أهم تلك المؤلفات والنشاطات فيما يلي:

- كتاب الدكتور صالح بن الهادي بن رمضان التفكير البيني، أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها
- كتاب الدكتور عمار عبد المنعم أمين: الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي الصادر عن مركز البحوث والدراسات بالرياض سنة 1433 هجرية.
- كتاب دليل الدراسات البينية فهرسة وتمهيد الدكتور بلخوذ نور الدين الصادر عن مركز دراسات اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- مقال للدكتور كاظم جهاد: في البينية نشأتها ودلالاتها، المنشور في مجلة الآداب م 25 العدد الثاني، جامعة الملك عبد العزيز بالرياض سنة 2013.
- كتاب الدراسات البينية الصادر عن مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض سنة 2017.

وبالإضافة إلى المنشورات المذكورة أعلاه، يوجد عدد كبير جداً من المؤلفات التي تشترك أيضاً معها في استعمال البينية كترجمة لمصطلح، مما يؤكد القول بأن هذا المصطلح صار الأكثر دلالة عما يراود بتسمية interdisciplinarité الأجنبية، دون أن يعني ذلك خلو الثقافة العربية من أية استعمالات اصطلاحية أخرى لتأدية نفس الغرض، لكن المقام يضيق بعرضها جميعاً ومناقشتها في هذا البحث.

6. المرتكزات المعرفية للفكر البيني في الثقافة الغربية:

ثمة ملاحظات أساسية يجب الانطلاق منها قبل معاينة ما يتموضع كمرتكزات معرفية للفكر البيني، ولعل أبرز هذه الملاحظات وجوب تكييف ظهور الدعوات إلى التداخل المعرفي بين النظريات والمناهج والعلوم مع سيورة

وتطور فلسفات العلوم، ونعني بذلك موضوعة هذا السلوك المعرفي في سياق تطور فلسفة العلم التي تشكلت منذ القدم كمتابعة لأهم نقاط الانعطاف التي عرفها التفكير العلمي منذ القدم الى يومنا هذا.

ومن المتعارف عليه بين الدارسين أن أبرز معالم التأسيس للفكر العلمي مرتبط بعقلانية ديكارت التي شكلت النموذج المعرفي الأكبر في القرن السابع عشر، وهو النموذج الذي استقام عوده على محاولة وصل التفكير الرياضي بالفكر الفلسفي ثم توسيع أفق هذا المنهج الرياضي ليغدو صالحا لمباحثة كل قضايا العلم والمعرفة²⁷، لكن هذا الطموح العلمي المتأجج ما لبث أن تراجع تحت وطأة التباين المسجل بين مبادئ الفلسفة ومبادئ الرياضيات، لينحسر نفوذه تاركا المجال لإسهامات جديدة كتلك التي ارتبطت بالنزوع الاستقرائي الذي بنى "فرانسيس بيكون" عليه تصوره المنهجي، في كتابه الجديد "الأورغانون الجديد" قدم "بيكون" مجهودا أراد من خلاله تجاوز النموذج المعرفي الأرسطي وإحلال نموذج بديل وهذا ما تلمح إليه تسمية الكتاب، وهذا النموذج يعتبر أول محاولة لوضع منطق استقرائي يكون بديلا للمناهج السابقة في البحوث وخاصة المنهج الأرسطي²⁸.

تستند النزعة العلمية الاستقرائية على كون العلم ينطلق دوما من ملاحظات يتم جمعها ويتم صوغها في نظريات وقوانين علمية موروأ بأبجديات التجريب العلمي، وهذا السلوك المنهجي تبوأ مكانة أحيطت بمالة من القدسية التي أفضت إلى أن يصبح العلم التحريبي المنادي بنبذ الذاتية والايديولوجيات والأديان نوعا من الأيديولوجيا القائمة بذاتها، وذراعا أساسا من أذرع التسلط والهيمنة التي باتت الامبريالية الغربية تمارسهما على باقي العالم، ورغم أن هذه الوضعية العلمية عرفت عدة هجومات على تفاصيلها وتشكيكات طالت مباحثها ومبادئها إلا أنها ظلت تمثل المحور الرئيس في الفكر العلمي حتى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

ظل النموذج العقلاني مهيمنا على قضايا انتاج المعرفة عند الغربيين سواء تعلق بالعقلانية الكلاسيكية أو العقلانية النقدية التي أفرزتها نقود "كارل بوبر" و "توماس كون" وغيرهما لـ "فرانسيس بيكون"²⁹، ولم يبق بعد ذاك إلا وجوب التفكير في تغيير أهلية العقل في انتاج المعرفة، وهو أمر كما يبدو سيحجر فلسفة العلم على إعادة النظر في أدوات معرفية أخرى تم الاستغناء عنها بعد أن تم إعلان العقل سلطانا على الفكر الإنساني، ولعلنا بهذا نصل الى ما يمكن اعتباره البدايات الأولى للفكر المتعدد البيني الذي وجد سبيله إلى الظهور عبر الجهود التي قدمها فيلسوف العلم النمساوي "فيير ابند"³⁰.

7. فييرابند: سقوط العقل ودعوى اللامنهج:

ثمة علاقة وطيدة جمعت هذا الفيلسوف برائد العقلانية النقدية كارل بوبر، هي علاقة التلميذ بأستاذه، الذي أخذ عنه روحا نقدية صارت تلازم كتاباته في فلسفة العلوم، ومن المعروف بين الدارسين أن كارل بوبر كان من أشد الناقدين للنظريات العلمية التي سبقته، وله تصوره الخاص الذي أراده بديلا عما كان سائدا ذي قبل³¹، وباعتراف فييرابند نفسه كان حضور بوبر في فكره كبيرا، لكن هذا الحضور لم يكن في شكل الأفكار التي قدمها

بوبر كبداً للنماذج والنظريات التي سبقتها، وإنما تجسد في استلهاً "فيرابند" للروح النقدية التي ما فتئت تلازمه ، إلى أن وصلت به إلى الثورة على أفكار كارل بوبر نفسها.

إن الشيء الذي حدا بنا إلى الحديث عن هذا الفيلسوف في سياق حديثنا عن تأسيس الفكر البيني هو الآراء المتمردة التي قدمها في نقده لفلسفات العلم ، فقد أبدى رفضاً تاماً لفكرة المنهج الاستقرائي بوصفه المنهج الأوحيد للعلوم، ويعضد رأيه هذا بالعودة إلى نظريات العلم نفسها وتاريخها حيث وجد أن مؤرخي العلوم يتعمدون عدم الخوض في الكثير من الانعطافات المهمة التي عرفها العلم، والتي كان مصدرها مغايراً للمناهج السائدة، وقصر البحث العلمي على منهج واحد يتعارض مع حقيقة ما وقع في تاريخ العلم، لأن الكثير من مستجدات العلم كانت وليدة مباحث ونظريات لا تمت إلى المنطق الاستقرائي بأية صلة، بل إن كثيراً منها يدين في أصل وجوده إلى اعتماد التفكير العلمي على مصادر أخرى كالدين والخرافة والميثولوجيا والميتافيزيقا والفنون، ويرى أن الإبداع في العلم وثيق الصلة بانتهاك المناهج والقواعد لا باحترامها وتقديسها، يقول في ذلك: "إن أكثر الصور أهمية في المناقشة الحالية الدائرة في تاريخ وفلسفة العلوم إنما هي إدراك حوادث مثل اختراع المذهب الذري في العصر اليوناني والثورة الكوبرنيكية ونشأة المذهب الذري الحديث (دالتون، النظرية الحركية، ونظرية التحلل، والكيمياء الجسمة، ونظرية الكم) والبنوع التدريجي لنظرية الضوء، حدثت فقط لأن بعض المفكرين إما قرروا ألا يلتزموا بقواعد محددة واضحة أو لأنهم انتهكوها بلا قصد أو العكس من ذلك"³².

إن التصور الذي يقدمه فيرابند له ما يؤكد في سياق تاريخ العلوم، خاصة إذا نظرنا إلى المسألة من خارج إطار الثقافة الغربية، حيث إن أغلب الحضارات عرفت فديماً منهجية لا تتساق مع ما قامت عليه النظريات الغربية الموغلة في المادية، إذ لا يخفى علينا أن أصول العلوم كثيراً ما ارتبطت في الثقافات الإنسانية بمجالات أخرى غير علمية كما أشرنا، وإذا كان لا بد لنا من سوق بعض الأمثلة فإن في تجربة الصينيين التي ساقها فيرابند دليلاً على صحة الفرض الذي يقدمه، فالطب الصيني كما يذكر عرف انحساراً وانهماكاً بظهور طائفة من الباحثين الصينيين الذين تأثروا وتابعوا الطب الغربي ونظرياته، لكنه سرعان ما عاد إلى توهجه في منتصف القرن الماضي بعد أن أعادت الصين دراسته إلى الجامعات وصارت الطرائق التي قام عليها تنافس الطب الغربي في النجاحات المتحققة³³.

وغير بعيد عن الدليل الذي يوقه فيرابند، لا يجب أن نتغافل عن أن البحث في أصول المعارف والعلوم لم يكن دوماً خاضعاً لمنطق الاستقراء التجريبي كما يروج له، ومما يصح الاستدلال به هنا أن كتب التراث تروي عن القدامى أن أصل الطب من المنامات والرؤى، والشواهد على ذلك كثيرة في تراث العرب وغيرهم³⁴، وليس الأمر مقتصرًا على الطب بل يمكن للباحث في هذا النطاق أن يجد الكثير من شواهد اثبات قيام الفكر العلمي على مصادر لا تمت إلى العلم بمواضعاته الحديثة بأية صلة.

ورغم أن "فيرابند" لم يصدق في مؤلفاته بدعوة إلى تبني البيئية بوصفها تداخلا بين المعارف في البحث العلمي ، إلا أن قراءاته التي أثبت من خلالها عدم استطاعة العقل كأداة للاستقراء التجريبي ونظام محكم من أنظمة المنهجية على إيجاد حلول مقنعة لكل ما اعترض مسيرة العلم من مشكلات، توحى بدعوة مبطنة إلى سلوك معرفي يقوم على تعدد الأدوات والمناهج، أو دعوة للامنهج في العلم، أو الفوضى التي لا يحكمها نظام قار، فمن شأن ذلك أن يقدم نتائج لم يستطع المنهج العلمي تقديمها من منظوره التجريبي.

ورغم أن مقولة اللامنهج صعبة التحقق عمليا ومنطقيا، بحكم أن عدم التمنهج هو في حد ذاته نزوع نحو منهج ما سوى أنه لا يتصف بمواصفات المنهج العلمي ولا يركن إلى مواضعاته، إلا أن هذه الآراء الجريئة التي قدمها فيرابند تبقى دليلا مقنعا عن قضية التشكيك في العقل الذي ظل مهيمنا على كل سبل الإدراك المعرفي طيلة قرون.

أثمرت عمليات نقد العقل التي عرفتها فلسفات العلم نشوء أفكار تنادي بوجوب التخلص من معطى الأحادية والانتظام تحت سلطة العقل والمنهج ، والتحرر من ضوابط الفكر المتخصص وانغلاق كل تخصص على نفسه، وهي المعطيات التي ارتبطت بالحدثة كنزعة عامة أفضت إلى اصطناع نوع من الدوغمائية المغلفة بحدود العقل والعلم التخصصي الرافضة لأي تغير يعرض سلطتها المعرفية إلى التعثر والتخلخل، وبدلا من ذلك صار الحديث موجها إلى النظر إلى قضايا العلم كقضايا عابرة للتخصصات مولدة لحقول بينية، تقع على ضفاف التخصصات كانت في منظور التخصص مسائل هامشية لا يتم اعتمادها، لعدم انتظامها في تخصص يعطيها المشروعية، ولعل أهم اسم ارتبط بالدعوة الصريحة الى هذا السبيل المعرفي عند الغريين هو الفيلسوف ادغار موران.

8. ادغار موران والفكر المركب:

ارتبط اسم هذا الفيلسوف بدعوته الصريحة الى إعادة النظر في المنظومة الفكرية والعلمية ومناهجهما، وذلك عبر مجموعة كبيرة من المؤلفات العلمية التي تصدح عناوينها مباشرة بهذا النزوع الجديد، وعلى مقدمتها كتابه الذي صار علما على إرادة البحث عن تداخل المعارف : " ربط المعارف " relies les connaissances ، وهو كتاب جمع بين دفتيه دراسات متعددة وخلاصات لمجموعة من المؤتمرات التي نظمت لبحث ظاهرة التداخل بين المعارف، وتعزز هذا الجهد بمؤلفات أخرى مثل كتابه " الفكر المركب " introduction a la pensée complexe ، وكتاب " العلم الواعي " (science avec conscience) ، وكلها مؤلفات تنحو نحو تشييد منظور مغاير للبحث والمعرفة، لا يأخذ في الاعتبار تبسيط العلم واختزاله الى تخصصات منغلقة على نفسها، بل يسعى إلى معالجة ذلك التبسيط بفكر مركب يتبغي رصد العلائق ونقاط التلاقح بين التخصصات والانطلاق منها لتشكيل ميادين جديدة لا بأس أن تتشكل من حقول معرفية متباينة الأدوات والاهداف .

1.8. المعرفة عند ادغار موران: التعدد بديلا مفهوما

إن الولوج إلى عوالم الفكر الفلسفي عند "ادغار موران" يقتضي — بداية — الانطلاق من فهم المعرفة كما يسري بين أوساط الفلاسفة والدارسين على أنها فعل عقلي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن سواء كان حصولها مصحوبا بالانفعال أو غير مصحوب به³⁵، وهذا يقتضي بداهة وجود ذات تلتبسها في موضوع ما وبذلك فالمعرفة إذن ثمرة تقابل واتصال بين ذات مدركة وموضوع مدرك³⁶، ولكن الشيء الذي حصل بعد الازدهار الكبير الذي عرفه المنطق الاستقرائي والعقلانية ككل بدءا من أرسطو وديكارت أن الموضوع صار مستقل بنفسه عن الذات بعد تمكنه من صياغة قوانينه الداخلية التي سرت على كل أوجه المعرفة وغدت سبيلا أوحدا قوامه اختزال المعارف وتبسيطها إلى جزئيات تستقل بأنظمتها الداخلية منشئة بذلك نوعا من التوقع والانغلاق.

ولعل إيمان العقلانيين الشبه مطلق بقدرة العقل على النفاذ إلى الحقيقة العلمية أفضى إلى أن يصبح الاعتقاد بتقرير الوضوح مبدأ أو شرطا لحصول المعرفة، وهذا المطلب صار مسوغا لتفكيك الكل إلى أجزائه الأولى البسيطة ودراسة كل منها وفق مناهج أو تخصصات مستقلة بغية الوصول إلى حقيقته المعرفية في معزل عن علاقاته بغيره من الأجزاء في الكل الذي ينتمي إليه، فالمعرفة بهذا المنظور نوع من العلم بالشيء منفصلا عما سواه³⁷، والعلم بالشيء قائم بشكل خاص على إزاحة الغموض عنه بشكل كلي ورغم أن هذا الطموح يبدو مستحيل التحقيق فعليا، إلا أنه يظل حاضرا كشرط في تحقق المعرفة علميا عند اندري لا لاند في موسوعته الفلسفية، حين لا يجد حرجا من التصريح بأن المعرفة التامة بشيء هي تلك التي لا تترك ذاتيا أي شيء غامضا أو ملتبسا في الشيء المعلوم³⁸، وهو نوع من الادعاء بإطلاقية النتائج التي تصل إليها العلوم.

في كتابه الشهير "المنهج" يقدم لنا ادغار موران تصورات عن المعرفة، وانتقاله من النظر إليها كمنجز قار إلى كونها ظاهرة متعددة الأبعاد تأخذ ما مفهومها مشابها لمفهوم المتلازمة في الطب³⁹، فهي بتعبيره ظاهرة متعددة الأبعاد تشكل متلازمة فيزيائية، وبيولوجية، ودماعية، وذهنية ونفسية في آن واحد⁴⁰، وأي إرادة للحصول على هذه المعرفة يجعلها تتفجر وتتكاثر لتغدو مقولات متعددة لا تحصى ولا تعد⁴¹، فالأصل فيها بهذا الاعتبار النظر إلى المعرفة في شكلها الطبيعي، والطبيعة لا تقدم الأشياء في صور منفصلة عن غيرها، بل تقدمها ضمن سياقاتها الطبيعية الناشئة فيها والمتفاعلة معها، وبهذا فحقيقة الإنسان مثلا جزئت إلى جوانب اختص منها الطب بالجسد وعلم النفس بالعواطف والانفعالات وعلم الاجتماع بالعلائق بين الإنسان والإنسان، رغم أن كل هذه الجوانب موجودة ضمن بناء واحد لا يمكن فصلها عن بعض إلا في إطار التصور البنيوي التخصصي، الذي ورغم أنه قدم تطورا كبيرا وانجازات لا تنكر، إلا أنه أيضا ألغى سياقات المعرفة التي يعتبرها ادغار موران أساسية للوصول إلى معرفة كاملة⁴².

2.8. براديجم المعرفة: من التبسيط إلى التعدد

سبقت الإشارة إلى رفض "ادغار موران" البراديغم الذي قدمته عقلانية ديكرت من حيث قيامه في تحصيل المعرفة على اختزال الأشياء إلى أبسط صورها أو مكوناتها، وهذا الاختزال أسهم في خلق نوع من النظر التحيزي الذي لا يهتم إلا بالمشابهات التي يمكن لها الانتظام في قانون منبثق عن العلاقات التي تحكم هذه الأجزاء في كليات ما، وعلى العكس من ذلك تتم معاملة اللامتشابه واللا قانوني والغير منتظم ضمن مساحة الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه، وبذلك فكل قضية لا يستطيع النظر العلمي العقلي تفسيرها لا بد وأنها ستقضى من مساحة البحث المعرفي، لكن حضورها في كليات الأجزاء أمر ظاهر، فالمسائل المرتبطة بالغيبيات والميتافيزيقا والخرافات والفنون لا يتم العمل بها أثناء دراسة تنتمي إلى مسمى العلم التجريبي، رغم أنها ظواهر وثيقة الصلة بالكليات المعرفية التي اقتطعت منها الأجزاء البسيطة التي قننت بناء على مواضع العلم، رغم أن الواقع بخلاف ذلك.

- هذا السلوك أدى برأي "موران" إلى نشوء نوع من الذكاء الأعمى "l'intelligence aveugle"⁴³، وعماء هذا الذكاء مردود - والرأي لموران دوماً - إلى عدم قدرته على إِبصار التعقيد اللصيق بالواقع، التعقيد الذي يتيح لنا الإقرار بأهمية رصد التعالقات والتداخلات التي ينبنى عليها الواقع، وهي تداخلات ستقضي الفصل بين العوالم الفيزيائية وغير الفيزيائية، وتنزع الحدود بين تخصصات علمية وأخرى إنسانية أو حتى غير علمية بالمعيار الغربي.

وحتى يتحقق الأخذ ببراديغم التركيب في الممارسة العلمية يصوغ ادغار موران مبادئ الفكر المركب في ثلاثية تكشف عن الأطر المعرفية التي كونت معينه الفكري والفلسفي في ما قدمه، ولنا هنا أن نقر أن فهم موران منوط أيضاً بفهم التحولات الفكرية التي عرفتها مرحلة ما بعد الحداثة عند الغربيين، وذلك من منطلق التشابه الحاصل بين مقولات ما بعد الحداثة المنادية بالاختلاف والمهجنة ورفض النظام والانتظام، ونقد العقل، وكلها محاور فكرية نجد لها حضوراً في فكر ادغار موران، وحتى لا يطول بنا الحديث أكثر من هذا نستعرض في ما يشبه الخلاصة السريعة مبادئ الفكر المركب كما قدمها في هذه الثلاثية:

- **مبدأ الحوارية:** يستند الفكر المركب على هذا المبدأ الذي يقدمه صاحبه في مفهوم يقوم على عملية الجمع والتوفيق بين التناقضات والتعارضات، فهناك من التعارضات ما لا يتم الاستغناء عنها ولا يحصل التكامل إلا بوجودها، ويصرح أن الحوارية وريثة لجدلية هيغل وماركس، وأنه "لا بد من وجود حالتين متعارضتين ومتناقضتين من أجل فهم ظاهرة معقدة، إنهما مكملتان لبعضهما مع تعارضهما"⁴⁴.

- **الارتداد التنظيمي:** يتجاوز هذا المفهوم الاعتبار القائم على رد كل أشكال التنظيم إلى ما عرف في الفكر النسقي بالانتظام الذاتي، ويقدم فكرة الأثر الرجعي التي استقاها ادغار موران من "السيرنطيقا"⁴⁵ التي رفضت مفهوم النسبية الخطية (علة - نتيجة) واستبدلته بهذا المفهوم الذي يعتبر بأن العلة المؤدية إلى نتيجة هي نفسها النتيجة التي كانت بسبب علة أخرى، وهكذا، لذلك يشبه ادغار موران هذه العملية بسيرورة الزوبعة التي يصعب تحديد بدايتها من نهايتها.

- الكتابة الشاملة أو الهولوغرام:

يقوم هذا المبدأ على اعتبار الأجزاء المشكلة للكل حاملة كلها لجينات هذا الكل، كما أن بعض الأجزاء هي أيضا كل يحمل بدوره أجزاء ، والجزء بدوره كل بأجزائه مما يجعل منه كلا في جزء، وحتى نفهم هذا المنطق يمكن التمثيل له بأي مجسم فيزيائي (هولوغرام) ، سواء كان إنسانيا أو غير انساني، فالإنسان جزء في مجتمع لكنه كل يجمع أجزائه أيضا والكل بالنسبة للإنسان هو المجتمع الذي لا يمكن فصله عنه باعتباره حاضرا في تكوين أجزائه، وفي هذا نوع من الخروج عن انغلاقية الفكر النسقي المنادي بالانفصال عن الواقع والمجتمع والتاريخ، والاكتفاء بالقوانين الداخلية فحسب.

9. خلاصة:

ينبني الفكر البيني اذن على النظر إلى الوقائع البحثية في تكتلاتها وسياقاتها محولا الوصول الى معرفتها دون فصل اجزائها ، وهذا ما سيجرب عنه المام بالتداخلات والحقول المعرفية المهجنة الناشئة عن تلاقح تخصصين او اكثر في ما بينها، وهو بهذا نوع من الخروج عن سلطة العقل الى رحاب غيره من أدوات الادراك، بغية تحرير العلم من سجن النسق والتخصص، وينبني عن السابق أن اخضاع المعرفة بكل تفرعاتها وتخصصاتها إلى المنظور البيني يخضع أساسا إلى محاولة تسليط ضوء على مناطق ظلت قائمة في عصر المنظور العالاني التبسيطي، هي المناطق التي تقع على تخوم الفكر العقلاني، ولا يشفع لها وجودها في الواقع الإنساني في أن تنال حظوة الاهتمام بالبحوث العلمية المعترف بها اكاديميا ورسميا.

لذلك يبدو أن من الواجب إعادة فتح المجالات للتصورات المنهجية التي لم تنبثق من عباءة الوضعية، وافساح المجال أمامها كي تدلي بدلوها في عمليات انتاج المعرفة، وعلينا أن نتوقع مسبقا أن الركون للبينية سوف لن يخلو من مشكلات علمية جديدة، خاصة حين يتعلق الأمر بباحثين طغى على منطقهم البحثي قانون العلم كما أثر عن النموذج التبسيطي التجريبي، بما انجر عنه من انسحاب مفهوم المنهج الذي بسط هيمنته على الفكر النقدي في الفنون والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ ليس بعيدا أن يتناول بعض الدارسين البينية على أنها منهج جديد، وتلقن لها مبادئ كي تفصلها عن غيرها من المناهج ثم تصل بها إلى النقطة التي جاءت أصلا لهدمها.

قائمة المراجع:

1- المراجع العربية:

- ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395 - 1975.
- إدغار موران، أزمة المعرفة عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش، تعريب: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، 2015.
- إدغار موران، المنهج، معرفة المعرفة، انثروبولوجيا المعرفة، تر: جمال شحيد، ج 3، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2012.
- إدغار موران، تربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرقي - منير الحوجي، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 2002.

- إدوارد سعيد، انتقال النظريات، ترجمة أسعد رزوق، مجلة الكرمل، العدد التاسع، 1983م.
- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ج 2، ط2 منشورات عويدات، بيروت، 2001.
- بول فيراند، العلم في مجتمع حر، ترجمة السيد نفادي، مراجعة سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- داود خليفة، براديغم التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 06، ع 02.
- دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة ودراسة حسين علي، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2009.
- رجاء بجلول، حول مفهوم عبور التخصصات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، الدوحة، قطر.
- روني ديكارت، حديث الطريقة، ترجمة عمر الشاربي، دار المعرفة للنشر، ج1، 1987.
- صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني، أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، (د.ت.).
- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة 1998.
- عمار قاسمي، التكامل المعرفي، مقارنة مفاهيمية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد 10، العدد 2.
- كاظم جهاد: في البنية، نشأتها ودلالاتها، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد 02 العدد 02، 2013.
- كريم موسى، فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، دار الفارابي، لبنان، 2012، ط1.
- محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، الطبعة الأولى، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت 2017.
- يعني طريف، الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين - الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية - سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 264، ديسمبر سنة 2000م.

2- المراجع الأجنبية:

- Pour une interdisciplinarité Focalisée dans les sciences humaines et sociales ; in cahier des sciences humaines en Europe 17;2010 .
- <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/interdisciplinary>
- <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/interdisciplinaire/43668?q=interdisciplinaire#43590>
- <https://www.cnrtl.fr/definition/interdisciplinarit%C3%A9//0>
- Edgar Morin, « Sur l'interdisciplinarité », in Rencontres transdisciplinaires, Bulletin interactif du Centre International de Recherches et Études transdisciplinaires (CIRET), n° 2, juin, 1994.
- Louis D'Hainaut ; l'interdisciplinarité dans les l'enseignement général ; colloque international organise a la maison de l'Unesco du 1 au 5 juillet 1985 ; Ed Unesco 1986
- https://www.researchgate.net/publication/234658015_Fruits_Salads_and_Smoothies_A_Working_Definition_of_Interdisciplinarity.
- Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), 1999.
- Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Éditions du Seuil, Paris, 2005.

الهوامش:

¹ <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/interdisciplinary>² <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/interdisciplinaire/43668?q=interdisciplinaire#43590>³ <https://www.cnrtl.fr/definition/interdisciplinarit%C3%A9/0>⁴ Edgar Morin, « Sur l'interdisciplinarité », in Rencontres transdisciplinaires, Bulletin interactif du Centre International de Recherches et Études transdisciplinaires (CIRET), n° 2, juin, 1994.⁵ موتي نيساني Moti Nissani: باحث وأستاذ جامعي أمريكي في البيولوجيا وعلم الحيوان، له مقال شهير يعد من أقدم وأشهر ما ألف في مجال الدراسات البينية، هو مقاله:

Fruits, Salads, and Smoothies: A Working Definition of Interdisciplinarity

للاطلاع على النص الكامل للمقال هذا رابطته الإلكتروني:

https://www.researchgate.net/publication/234658015_Fruits_Salads_and_Smoothies_A_Working_Definition_of_Interdisciplinarity⁶ نقلا عن: رجا بملول، حول مفهوم عبور التخصصات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، الدوحة، قطر، ص: 04.⁷ M.nissani ; Fruits, Salads, and Smoothies : A Working Definition of Interdisciplinarity ; p01, وقد اعتمدنا في ترجمة التعريف على : صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني، أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، (د.ت) ، ص:16.⁸ نقلا عن المرجع السابق، ص:16⁹ Louis D'Hainaut ; l'interdisciplinarité dans les l'enseignement général ; colloque international organise a la maison de l'Unesco du 1 au 5 juillet 1985 ; Ed Unesco 1986 ; p 05.¹⁰ اقتبسنا هذا العنوان من كتاب: محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، الطبعة الأولى، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت 2017، ص: 72.¹¹ صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني، أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص: 14.¹² يعتمد الدكتور بن رمضان على كتاب: Pour une interdisciplinarité Focalisée dans les sciences humaines et sociales ; in cahier des sciences humaines en Europe 17;2010 p195 ; نوعا من الاشكال والتضارب بين الدارسين، يمكن العودة أيضا لمعينة الفروقات بين دلالات البينية إلى: محمد همام: تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، ص: 72 وما بعدها. وأيضا: كاظم جهاد: في البينية، نشأتها ودلالاتها، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود ، الرياض، المجلد 02 العدد 02، 2013، ص: 243-247.¹³ محمد همام: تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، ص: 75.¹⁴ صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني، أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص: 14.¹⁵ قاعدة المناسبة عند البنيويين تعني أن كل دارس يرى في الموضوع المدروس ما يناسبه هو، فالشجرة موضوع واحد للفلاح والرسام والتجار، لكن المختلف بينهم هو منظور التحليل الى الموضوع لا الموضوع ذاته، يمكن العودة في هذا إلى: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة 1998، ص: 136.¹⁶ صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني، أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها ، ص: 14¹⁷ محمد همام: تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي ص: 76. كاظم جهاد: في البينية ، نشأتها ودلالاتها، ص: 243-247.¹⁸ المرجع نفسه، ص: 78

- ¹⁹ المرجع نفسه: 76.
- ²⁰ نفسه، ص: 77.
- ²¹ نفسه، ص: 77. بتصرف
- ²² نفسه 78.
- ²³ ينظر : عمار قاسمي، التكامل المعرفي، مقارنة مفاهيمية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور ، الحلقة، المجلد 10، العدد 2، ص: 141-171.
- ²⁴ اقتصرنا على إشارة الدكتور محمد همام على هذين المؤلفين، رغم أن هناك دراسات أخرى كثيرة تستعمل المصطلح ذاته وأخرى تستعمل مصطلحات أخرى، وهذا حتى لا يخرج بنا البحث عن المراد الأساس منه، لأن تتبع الاختيارات الاصطلاحية للدارسين يقتضي افراد بحث مصطلحي تناقش عبره هذه الاصطلاحات بناء على معايير علمية واضحة ، ينظر محمد همام، المرجع السابق، ص: 75.
- ²⁵ المرجع نفسه، ينظر ص: 75-76.
- ²⁶ إدوارد سعيد انتقال النظريات، « ، ترجمة أسعد رزوق، مجلة الكرمل، العدد التاسع، 1983م.
- ²⁷ يصرح ديكرت بشغفه بالرياضيات واقتناعه بأنها النموذج الكلي للعلم، ينظر: روني ديكرت، حديث الطريقة، ترجمة عمر الشاربي، دار المعرفة للنشر، ج1، 1987، ص: 05، وأيضاً ص: 45.
- ²⁸ دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة ودراسة حسين علي، التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2009، ص 93.
- ²⁹ للتوسع أكثر يرجى العودة إلى: كريم موسى، فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، دار الفارابي، لبنان، 2012، ط1، ص 166.
- ³⁰ بول كارل فييرابند Paul Karl Feyerabend (1924-1994) فيلسوف نمساوي عرفت أفكاره بالفوضوية، أي رفض وجود نسق علمي ثابت ونهائي. سافر إلى إنجلترا المتابعة دروس كارل بوبر، وأيد أهم أفكاره حول منطق تحول العلوم. إذ رفض الثقة المطلقة في العلم، واعتبر الدحضانية أو قابلية النظرية العلمية للتكذيب معياراً أساسياً للتمييز بين النظرية العلمية وغير العلمية. ومن أهم مؤلفاته: ضد المنهج (1979)، "العلم في المجتمع الحر"، "أوراق فلسفية" (1981)، "وداعاً أيها العقل" (1987).
- ³¹ تعتبر جهودات كارل بوبر وتوماس كون وفييرابند نوعاً من النقد والتجاوز للوضعية المنطقية، لذلك يصطلح عليهم عند البعض بتسمية مابعد الوضعية المنطقية، رغم أن رواد هذا التوجه الجديد لم يكونوا على وفاق علمي دوماً، وخير دليل على هذا نقد فييرابند لبوبر بعد أن كان من تلامذته، وللتوسع حول تطور الفكر النقدي لفلسفات العلم يمكن العودة إلى : معنى طريف، الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين - الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية - سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد: 264، ديسمبر سنة 2000م.
- ³² بول فييرابند، العلم في مجتمع حر، ترجمة السيد نفادي، مراجعة سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 21.
- ³³ بول فييرابند ، العلم في مجتمع حر، مرجع سابق، ص 81.
- ³⁴ من أمثلة ذلك ماورد في كتاب الروح لابن قيم الجوزية من عزو التداوي الى الرؤى والنامات، ونسوق ههنا هذا النص بطوله للتدليل على ما أوردناه في المتن: وكان سمك بن حرب قد ذهب بصره فرأى إبراهيم الخليل في المنام فمسح على عينيه وقال اذهب إلى الفرات فتغمس فيه ثلاثاً ففعل فأبصر وكان إسماعيل بن بلال الحضرمي قد عمى فأتى في المنام فقبل له قل يا قريب يا محبب يا سميع الدعاء يا لطيف بمن يشاء رد على بصري فقال الليث بن سعد أنا رأيته قد عمى ثم أبصر.
- وقال عبيد الله بن أبي جعفر اشتكت شكوى فجهدت منها فكنت أقرأ آية الكرسي فتمت فإذا رجلان قائمان بين يدي فقال أحدهما لصاحبه أن يقرأ آية فيها ثلاثمائة وستون رحمة أفلا يصيب هذا المسكين فيها رحمة واحدة فاستيقظت فوجدت خفة. وقال ابن أبي الدنيا اعتلت امرأة من أهل الخير والصالح بوجع المعدة فأتت في المنام قائلاً يقول لا إله إلا الله المغلي وشراب الورد فشربه فأذهب الله عنها ما كانت تجد. قال وقالت أيضاً رأيت في المنام كأني أقول السناء والعسل وماء الحمص الأسود شفاء لوجع الأوراك فلما استيقظت أتتني امرأة تشكو وجعا بوركها فوصفت لها ذلك فاستنعت به، وقال جالينوس السبب الذي دعاني إلى فصد العروق الضوارب أي أمرت به في منامي مرتين قال كنت إذ ذاك غلاماً قال وأعرف إنساناً شفاه الله من وجع كان به في جنبه بفصد العرق الضارب لرؤيا رآها في منامه، وقال ابن الخراز كنت أعالج رجلاً مغموداً فغاب عني ثم لقيتُه فسألته عن حاله فقال رأيت في المنام إنساناً في زي ناسك متوكفاً على عصا وقف علي وقال أنت رجل مغمود فقلت نعم فقال عليك بالكباء والجلنجبين فأصبحت فسألت عنهما فقيل لي الكباء المصطكي والجلنجبين الورد المربي بالعسل فاستعملتهما أياماً فبرأت فقلت له ذلك جالينوس، والوقائع في هذا الباب أكثر من أن

تذكر قال بعض الناس إن أصل الطب من المنامات ولا ريب أن كثيرا من أصوله مستند إلى الرؤيا كما أن بعضها عن التجارب وبعضها عن القياس وبعضها عن الهام ومن أراد الوقوف على ذلك فليُنظر في تاريخ الأطباء وفي كتاب البستان للقيرواني وغير ذلك " ينظر : ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395 – 1975، ص: 195.

³⁵ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص: 393.

³⁶ نفسه، الصفحة نفسها.

³⁷ نفسه، ص: 187.

³⁸ أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ج 2، ط2 منشورات عويدات، بيروت، 2001، ص: 208.

³⁹ مصطلح المتلازمة syndrome، مصطلح طبي يقصد به مجموعة من الاعراض والعلامات التي تصف مرضا بمجموعها واحدا معينا أو حالة غير طبيعية، ووجه التقارب بين مفهوم هذا المصطلح ومراد إدغار موران ذلك الاجتماع بين الاعراض وتزامناتها أثناء حالة مرضية واحدة، ففهم الحالة يقتضي

فهم كل اعراضها في الزمن ذاته، ينظر: <https://www.thefreedictionary.com/syndrome>

⁴⁰ إدغار موران، المنهج، معرفة المعرفة، انثروبولوجيا المعرفة، تر: جمال شحيد، ج 3، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2012، ص: 23.

⁴¹ المرجع نفسه، ص: 21.

⁴² داود خليفة، براديجم التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 06، ع 02، ص: 73، والنص من مقال موران:

Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), 1999, p 19

⁴³ إدغار موران، المنهج، معرفة المعرفة، انثروبولوجيا المعرفة، تر: جمال شحيد، ص: 71، وأيضا: كتاب موران:

Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Éditions du Seuil, Paris, 2005, p 10

⁴⁴ ينظر: إدغار موران، أزمة المعرفة عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش، تعريب: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، 2015، ص: 58، وأيضا إدغار موران، تربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرق – منير الحوجي، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 2002، ص: 37-38.

⁴⁵ مصطلح معرب عن لفظة cybernétique، ويقصد به علم التحكم أو الضبط، استعمله لأول مرة عالم الرياضيات الأمريكي نوربرت فينر، Norbert Wiener، ويرى فينر "أن العلوم التي تبدو منفصلة هي في الحقيقة تتلاقى وتتشابه في نتائجها مما يجعل في الإمكان إعادة توحيدها، ويرى فينر أن الأمر يستدعي وجود فريق من العلماء المتخصصين في فروعهم العلمية، ولكنهم في نفس الوقت يعرفون لغة وأفكار العلوم الأخرى، وهكذا أنشأ نوعا جديدا من العلماء المتخصصين في الطب والرياضيات في نفس الوقت، وهؤلاء هم علماء السيبرنطيقا " ينظر: فايز محمود، السيبرنطيقا، استيعاب وحدة المعرفة. www.midouza.net. مارس 10.01.2010.